

ديزيره سقال

البيته



ديزيره سقال

أبيّة



- ١ -

في البدء لم يكن سوى عينيك...
كان الخواء مُرتدياً زيّ الوجود، والجهات غائبة،
والفراغ خالياً من الزمان...
في البدء لم يكن سوى عينيك...
وحيث نظرت... كان الوجود -
خرجت الجهات،

خَرَجَ السَّمْتُ وَالْهَوَاءُ وَالْأَمْتِلَاءُ...
خَرَجَتِ الصِّفَةُ وَالْأَسْمَاءُ وَالْمَعَانِي...
خَرَجَ الصَّوْتُ/
سَمَّيْتُ الْأَشْيَاءَ فَكَانَتْ -
نَبَتَتْ حَوْلَكَ فِي زَهْوِ الْيَقِينِ.
خَرَجَ النُّورُ -
فَاضَ مِنْ عَيْنَيْكَ.

فَاحَ أَرْيَجُهُ فِي الْجِهَاتِ فَامْتَلَأَتْ بِهِ.
خَرَجَ الْوَعْيُ مِنْ أَبْتِسَامَتِكَ الْوَاحِدَةِ
فَرَأَيْتُ، وَأَدْرَكْتُ وَمَيَّرْتُ...

خَرَجْتُ مِنْ قِشْرَةِ الظَّلامِ الذي كانَ يُعَلِّفُنِي إلى
 النورِ الذي أَفَضَّه عَلَيَّ...
 خَرَجْتُ إلى النورِ نَحْوِكَ -
 أَرْتَدِّيْتُهُ ذَاتًا،
 وَأَنْكَشَفْتُ لِي.
 بَدَأْتُ تاريخي مِنْ هذا الانْكِشافِ.
 بَدَأْتُ ذاتي.
 بَدَأْتُ يَقيني وَكياني وَوَعْيِي.
 بَدَأْتُ أَتَلَمَّسُ مَعَالِمِي وَوجودي بَيْنَ الأَرْضِ
 وَالسَّمَاءِ.

بَدَأْتُ أَكْتُبُ ذَاتِي،
أَبْنِيهَا فَوْقَ أَشْلَاءِ السَّرَابِ الَّذِي أَسْرَنِي.
وَعِنْدَمَا أَنْكَشَفْتِ لِي
أَبْتَثْتُ إِلَى الْوُجُودِ...

لَيْسَ حَوْلِي سِوَى النُّورِ،
وَوَجْهُكَ أَنْشُودَةُ الْأَبَدِيَّةِ
تُحِيطُ بِي كَلَّمَا هَمَسْتُ

وَكَلَّمَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى رِذَاذِ الْفَرْحِ .
وَجَهْهُكَ الْبَصْرُ وَالْأَشْكَالُ
وَالْبَصِيرَةُ الَّتِي تَفْتَحُ السِّرَّ عَلَى أَلْفِ حِجْمِ الذَّهْوِلِ .

لَمْ يَعُدْ بَيْنَنَا سِوَانَا ،
وَسِوَى هَذَا الْأَلْقِ الْغَرِيبِ الَّذِي يَحْمِلُنَا إِلَى مَرَاقِي
التلاشي ،
إِلَى غُرْبَةٍ رَائِعَةٍ عَنْ كُلِّ مَا يُصْطَنَعُ فِي الْخَارِجِ .

لَمْ يُعَدُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سِوَانَا،
 وَنَحْنُ أَنْخَطَفُ إِلَى مَعَارِجِ الْأَبْدِيَّةِ
 دَاخِلَ هَذَا الزَّمَانِ الصَّغِيرِ.
 طَرَحْنَا الْعَالَمَ -

صِرْتِ أَنْتِ الْعَالَمِ وَالْجِهَاتِ وَالزَّمَانِ...
 صِرْتِ أَنْتِ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ.
 صِرْتِ أَنْتِ الْكِيَانَ الَّذِي يُغْلَفُ كُلَّ شَيْءٍ،
 وَيَجْبُلُ كُلَّ شَيْءٍ بِرُوعَتِهِ الدَافِقَةِ.
 صِرْتِ الدَّفءَ وَالْبَرْدَ، الضُّوءَ وَالْعَتَمَةَ، الْقَلْبَ
 وَالنَّبْضَ، الْذَاتَ وَالْكِيَانَ...

صِرْتِ الوجودَ الذي يُحيطُ بي،
وكلُّ ما سِواه قِشْرَةٌ تَسْقُطُ في آنْفِلاشِ الغِيابِ...

لَمْ يَعدُ بيني وَبَيْنَكَ سِوانا،
وَسِوى الحِضورِ العَظيمِ الذي يَسْقُطُ حَولَهُ كلُّ
شيءٍ سِواه.

لَمْ يَعُدْ بَيْنَنَا سَوَانَا،
وَنَحْنُ التَّرْنِيمَةُ الْأَبَدِيَّةُ الَّتِي تَجْبُلُ الْعَالَمَ بِذَاتِهَا
وَتَحْمِلُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ كُلَّ آنَاتِ الزَّمَانِ...

- ٢ -

في فَوْضَى الْعَالَمِ الَّذِي يَتَكَسَّرُ حَوْلَنَا، كَانَ
حُضُورُكَ النُّورَانِيَّ يُعِيدُ إِلَيَّ طَعْمَ الْوُجُودِ، وَمَعْنَى الزَّهْوِ
وَالانْخِطَافِ...

في فَوْضَى الْعَالَمِ الَّذِي يَتَشَقَّقُ وَيَتَصَدَّعُ كَانَ
وَجْهُكَ يَبْنِي لِي عَالَمًا أَرْوَعَ مِنَ الْحُلْمِ، وَيَحْمِلُ أَهَارِيجَ
الْأَعَالِي، وَحُضُورَ السَّمَاءِ.

كَانَ وَجْهُكَ فِضَاءً مِنَ النُّورِ،
 يَا حُذْنِي إِلَى كَوْنٍ جَدِيدٍ -
 إِلَى تَكْوِينٍ آخَرَ
 أَصْفَى مِنْ لَوْنِ النُّورِ،
 وَأَعْمَقَ مِنْ رَهْبَةِ الْأَبَدِ...
 كُنْتِ أَنْتِظَارَ السِّحْرِ فِي عَالَمٍ لَا سِحْرَ فِيهِ.
 كُنْتِ بَرِيقَ الرُّوعَةِ فِي عَالَمٍ بَعِيدٍ مِنَ الرُّوعَةِ.
 كُنْتِ النُّورَ الَّذِي يَحْمِلُ صَفَاءَ الْأَلْوَانِ فِي عَالَمٍ
 غَارِقٍ فِي الْعَتَمَةِ.
 وَهَا نَحْنُ:

أُخْطَافَانِ نَحْوَ قُبَّةِ الْأَبَدِ،

نُرْتَلُّ نَشِيدَهُ دَاخِلَ جَوْقَاتِ الْحُلْمِ.

ها أنتِ:

حُضُورٌ إِلَهِيٌّ، أَصْفَى مِنْ صَوْتِ الْمَلَائِكَةِ.

ها أنتِ:

سَمَاءٌ مِنَ الْحُضُورِ الشَّفِيفِ الَّذِي يَصْدَعُ الْغِيَابَ،

وَمَدْخَلُ الْأَبَدِيَّةِ...

حُلْمًا كُنْتُ -
أَنْفَتَحْتُ لِي آفَاقُهُ مِنْ ذُهُولِ.

وَجِئْتُ /
كَانَ السَّديمُ مَهْرَجَانَ أَلْوَانِ،
وَالنُّورُ شَلَالًا مِنَ الْبِهَاءِ

يَبْدَأُ مِنْ عَيْنَيْكَ لِيَتَكَسَّرَ رَذَاذًا مِنَ الْأَلْقِ فِي
أَعْمَاقِ كِيَانِي ...

حُلْمًا كُنْتُ -

جَسَدًا لَا يَنْتَهِي مِنْ هَيُولَى السَّمَاءِ
أَخْتَرِقُهُ وَأَرْحَلُ فِيهِ إِلَى مَعَارِيجِ الْأَنْخِطَافِ ...

جَسَدًا مِنْ حُلْمٍ أَنْتِ -

مِنْ حُلْمِ السَّمَاءِ،

مِنْ تَغْرِيدِ الصَّفَاءِ،

مِنْ أَنَاشِيدِ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ تَحْتَرِّقُ الْكِيَانَ.

جَسَدٌ مِنْ حُلْمٍ أَنْتِ،

أَحْتَرِقُ فِيهِ حَتَّى التَّلَاشِي،
 حَتَّى النَّشْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي تَرْفَعُنِي إِلَى سَمْتِ
 الوجودِ، صَافِيًا، مُجَرَّدًا مِنْ قِشْرَتِي، أَصْفَى مِنَ النُّورِ، وَأَرْقَّ
 مِنَ الهَوَاءِ...

جَسَدٌ مِنْ حُلْمٍ أَنْتِ -
 يُعْتَنُّنِي مِنْ كِيَانِي، مِنْ ثِقَلِ هَذَا الكِيَانِ البَشَرِيِّ
 لِيَبْدَأَ بَعْدَ البَهَاءِ
 وَيُنْقَلَ الحِسَّ مِنْ مَحْدُودِ الجِهَاتِ إِلَى لَانِهَائَاتِ
 الأَبَدِ...

تَأْوِي النَّشْوَةَ إِلَيْكَ لِتَعُودَ بَكْرًا فِي شَرَايِينِي.
تَأْوِي النَّشْوَةَ إِلَى جِسَدِكَ لِتَسْتَحِمَّ فِي الْبَهَاءِ
وَتَتَعَرَّفَ إِلَى ذَاتِهَا،
وَتَكْتَشِفَ نَفْسَهَا فِي لُهَاثِ الْأَلْقِ...
تَأْوِي الرَّعْشَةَ إِلَى أَطْرَافِكَ لِتَزْدَادَ رَوْعَةً، وَتَكْبِرَ فِي
مَلَكُوتِ الْأَنْخِطَافِ...
يَرْتَعِشُ فِي الْحُلْمِ كُلَّمَا لَامَسْتُ حُضُورَكَ الْمَعْصُومَ

لِيَفِيضَ عَنْ وَاِحَاتٍ مِنَ الْبَرِيقِ وَاللَّهْيَبِ -

كَهَيْبٍ يَدْخُلُ كِيَانِي،

يَحْتَرِّقُ أَطْبَاقَ وَجُودِي...

كَهَيْبٍ صَافٍ كَنَشْوَتِكَ الَّتِي تَرْفَعُنِي إِلَى

الْمَلَكُوتِ...

كَهَيْبٍ شَفَافٍ يَنْزِلُ مِنْ سَمَاءِ جَسَدِكَ

إِلَى أَرْضِ كِيَانِي،

يَشِيلُ بِهِ إِلَى عَوَالِمٍ لَا عَهْدَ لَهُ بِهَا...

كهيْبُ يَنْزُكُ مُهَائُهُ فِي كُلِّ عَرِيقٍ
فَيَنْبِضُ بِالْأَنْخِطَافِ ...

تَأْوِي الرَّعْشَةَ إِلَى أَطْرَافِكَ لِتَعُودَ بِكُرًّا،
وَيَصِيرُ الْجَسَدُ الْأَخْطَافًا نَحْوَ الْأَبْدِيَّةِ الْبِيضَاءِ:
هَذَا أَوَانُ التَّكْوِينِ.
هَذَا نَشِيدُ الْبَدْءِ فِي سَمَاءِ الْعَالَمِ الْجَدِيدِ ...

- ٣ -

تَكْتُبُ السَّمَاءُ قِصَائِهَا فِي عَيْنَيْكَ،
 وَمِنْ يَدَيْكَ يَفِيضُ نُورُ الْأَلْقِ عَلَى عَلَى قَلْبِي
 المَفْتُوحِ.
 تَتَوَسَّدِينَ كِيَانِي فَيَسْتَعْرِقُ فِي أَنَاشِيدِ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ
 تُهْدِي قَلْبَكَ.

تَرَصَّعَ قَلْبِي بِنَبْضِ حَنِينِكَ وَهُوَ يُعَيِّي الفَرَحَ ...
 تَرَصَّعَ فَرَحِي بِوَهْجِ أَبْتِسَامَتِكَ وَهِيَ تَفِيضُ عَلَى

كياني ...

تَرَصَّعَ كِيَانِي بِنَشْوَةِ مَلْمَسِكَ وَهُوَ يُعَانِقُ أَشْتِعَالَ

جسدي ...

تَرَصَّعَ جَسَدِي بِجَسَدِكَ لِيَفِيضَ أَنْتِشَاءً

فَيَنْبُضَ فِيهِ كُلُّ عَرْقٍ،

وَتَعْبُرُ اللَّذَّةُ عَلَى سَحَابَةٍ مِنَ النُّورِ

إِلَى عَوَالِمٍ لَا حَوَاجِرَ لَهَا،

إلى فضاءٍ منَ اللهاثِ المشرقِ
 حيثُ أَشْتَمُّ بِخَوَرِ لَدَّتِكَ
 وَأَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ جَسَدِكَ ذَاهِلًا،
 مُحْتَرِقًا فِي نَشْوَتِهِ الأَثِيرِيَّةِ -

جَسَدِكَ أُنْجِدِيَّةُ التَّحْوِيلِ
 يَطِيرُ بِي إِلَى سَمَاوَاتِ الذُّهُولِ،
 إِلَى أَرْضٍ تُظَلِّلُنِي فَأَعْرِقُ فِي حُبُورِ النَّشْوَةِ...

جَسَدُكَ مَحْبَرَةُ الشَّعْرِ،
أَدْخُلُ فِيهِ إِلَى حُلْمٍ بِإِلَاحُدودِ،
إِلَى أَنْتِعَاشٍ يَصْنُهُرُ كِيَانِي،
يَطِيرُ بِي نَحْوَ فِضَاءِ اللّآزْمَانِ،
نَحْوَ أَرْضٍ مِنْ دُهُولِ بِإِلَاحُدودِ
لِأَحْطَّ عَلَى عَرْشِ الْقَيْضِ مَلِكًا
يَصْنَعُ الوجودَ مِنْ هُأَثَانِكَ الخَالِقِ...

جَسَدُكَ قَصِيدَةُ السَّمَاءِ
 نَزَلَتْ عَلَيَّ كَيْبَانِي كَرُوبَا الْأَنْبِيَاءِ،
 أَذُوبُ فِيهَا أَحْرَقًا تُضِيءُ تَارِيخَ الْجَسَدِ،
 تَصْنَعُ مِنْهُ عُمُرًا خَارِجَ الزَّمَانِ،
 وَأُفَقًّا يَبْدَأُ فِي الْآنِ لِيَنْتَهِيَ فِي أَبَدِيَّةٍ مِنْ نُورٍ...

جَسَدُكَ كَيْبَانُ الْخَلْقِ،
 يُدْبِئُنِي وَيُخْلِفُنِي مَرَّةً أُخْرَى،

أذوبُ فيه فِعْلَ أَنْشَاءِ بِلِهَاتِ التَّكْوِينِ /
أُرَاقِبُ كِيَانَكَ يَدُوبُ وَيَنْصَبُّ، كُلَّ لَحْظَةٍ، فِي
قَالَِبِ جَدِيدٍ.

جَسَدُكَ قَلَمُ اللِّهَاتِ
وَهُوَ يَفِيضُ عَلَى لِقَاءِ بِلَا حُدُودٍ،
يُحْرِقُ كُلَّ مَا فِيَّ،
لِيُخْرِجَهُ، كُلَّ مَرَّةٍ، مِنْ رَمَادِهِ،
بِكُرٍّ تَتَشَهَّى لِلْمَرَّةِ الْأُولَى،

وَيُعِيدَ تَكْوِينَهُ فِي رَعَشَتِكَ الْأَثِيرِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ
 نَفْسٍ،
 وَأَرْقَى مِنْ رُوحٍ...

جَسَدُكَ قَلَمُ اللُّهَاتِ
 يُجَرِّفُنِي حَتَّى الدَّخُولِ فِي مَعَارِجِ السَّمَاءِ...

عَيْنَاكَ تُكُونَانِ رُوحِي كُلَّ آنٍ...

كُلَّ آنٍ ...
وَكَيْانِكِ أَبَدِيَّةُ الْأَلَقِ
حِينَ لَا يَبْقَى فِي حُضُورِي سِوَى النُّورِ الْمَفْتُوحِ ...

كُنْتُ فِي رَحِمِ الْعَيْبِ حَاضِرَةً.
كَانَ جِسْمُكَ سِحْرًا
يُعَيِّرُ وَجْهَ الْقَضَاءِ.
كَانَ جِسْمُكَ كَالزَّهْرِ،

يُثَقَلُ لَيْلًا لِيُفْتَحَ فِي النُّورِ
مِثْلَ أَرِيحِ السَّمَاءِ.
كَانَ جِسْمُكَ مُنْقَفِلًا،
غَائِبًا حَاضِرًا،
كَالْقَصِيدَةِ يَفْتَحُهَا الْوَحْيُ وَالشَّعْرُ،
تَلَهَّتْ بَيْنَ يَدَيَّ
لِتَحْمِلَنِي نَحْوَ أَرْضٍ تَفْتَحُ فِيهَا الْبَهَاءُ.
جِسْمُكَ الْآنَ مُنْفَتِحٌ فِي كِيَانِي
تُرِيئُهُ شَهْوَةٌ
مِنْ عَبِيرٍ تَنْزَلُ مِنْ فَوْقُ، يَحْمِلُنَا

وَيَطِيرُ إِلَى حَيْثُ لَا شَيْءَ
 غَيْرُ أَنْفَلاشِ الضِّيَاءِ.
 وَطَنًا كُنْتَ، أَبْحَثُ عَنْهُ وَأَحْمِلُهُ،
 غَيْرَ أَبِي لَمْ أَرَهُ قَبْلُ -
 كَانَ أَنْتَظَرًا غَرِيبًا
 تَحَلَّى لِقَلْبِي بَعْدَ اسْتِنَارٍ/
 تَحَلَّيْتَ أَنْتِ كَوْهَجٍ
 يُحَرِّرُنِي مِنْ كِيَانِي
 لَأُوي إِلَيْهِ وَدِيعًا،
 جَدِيدًا كَطِفْلِ وِلِيدٍ.

تَجَلَّيْتُ خَارِجَةً مِنْ فِضَاءِ الْغِيَابِ
 إِلَى حَسَدٍ كَبَلَّتَهُ أَنْتِظَارَاتُهُ
 وَتَفَتَّحَ لِي مِثْلَ بَوَابَةِ السِّحْرِ،
 أَشْعَلَنِي فَاحْتَرَقْتُ أَنْخِطَافًا.
 غَفَوْتُ عَلَى صَهْوَةِ السِّحْرِ فِيكَ،
 يَطِيرُ الدُّهُولُ بِرُوحِي
 إِلَى سَمْتٍ مَلَمَسِكَ الْمَتَّاقِ كَالْمَسْتَحِيلِ /
 أَحْتَرَقْتُ أَنْخِطَافًا
 وَلَوْنِي جِسْمِكَ الْمَتَفَتِّحِ لِي
 بِنُجُومِ الدُّهُولِ.

كَيْفَ أَخْرُجُ، بَعْدُ، إِلَى الْعَالَمِ الْمَتَكَسِّرِ فِي النَّقْصِ،
كَيْفَ أُرَاقِبُ، بَعْدُ،
وَقَدْ صِرْتُ فِيكَ إِهْمًا،
مَدَارَ الْفُصُولِ؟
وَكَيْفَ أَعُودُ إِلَى الشَّعْرِ، بَعْدُ،
وَقَدْ صِرْتُ أَنْتِ الْقَصِيدَةَ
فِي أَبْجَدِيَّةِ قَلْبِي،
وَمَاذَا أَقُولُ؟

- ٤ -

فَتَحْتِ عَيْنِي عَلَى شَرَارَةٍ مِنْ نَوْرٍ:
 كَانَ النُّورُ يَخْتَرِفُنِي، وَيَحْمِلُ كَائِنِي إِلَى سَمَاوَاتٍ مِنْ
 الحُلْمِ أَنْخَطِفُ فِيهَا نَحْوِكَ - وَأَنْتِ شَرَارَةُ الغَرَابَةِ وَنَارُ
 التَّأَلُّقِ.

اِحْتَرَفْتُ ... اِحْتَرَفْتُ ... اِحْتَرَفْتُ ...
 حَتَّى صِرْتُ رَمَادًا يُدْرُّ عَلَى حُضُورِكَ السَّمَاوِيِّ.

باخترافي عِشْتُ... .

باخترافي صِرْتُ كائناً مِنْ نورٍ

يُقيمُ في حَدَائِقِ قَلْبِكَ.

اِحْتَرَفْتُ حَتَّى أَنْتَهَاءِ الْمَسَافَاتِ فِي سَمْتِ جَسَدِكَ

اللامحدود.

اِحْتَرَفْتُ حَتَّى ذَوْبَانِ الْكَلِمَاتِ فِي قَصِيدَةِ عَيْنَيْكَ

الملائكيتين.

اِحْتَرَفْتُ حَتَّى أَنْبِثَاقِ الطَّفُولَةِ مِنْ قَلْبِكَ الْأَبْيَضِ

الطِّفْلِ...

اِحْتَرَفْتُ حَتَّى التَّأَلُّهِ،

حَتَّى ارْتِقَاءِ السَّمَاءِ إِلَى حُضُورِكَ الْمُبَارَكِ -
حُضُورِكَ بِدَايَةِ التَّكْوِينِ الَّذِي يَمْتَدُّ مَدَى الزَّمَانِ،
يَجْبُلُ الذَّاتَ بِالنُّورِ،
وَالْجَسَدَ بِالْأَثِيرِ الرَّائِعِ -

جَسَدُكَ أَنْتِ أَنْصَبَ فِيَّ، فَطَرْتِ إِلَى مَرَاقِي
الضِّيَاءِ وَتَوَافَدِ الْأَبَدِ...

جَسَدُكَ الدُّهُولُ المَبَارِكُ بِالنَّشْوَةِ
 المَبَارَكَةِ، تَحْمِلُ لَكَ أَلَقَ الأَنْخِطَافِ نَحْوَ عَوَالِمِ لا
 حُدُودَ لَهَا، ولا ظَلامَ فِيهَا.

جَسَدُكَ المَعْبُودُ السَّامِي الَّذِي يَحْمِلُنِي،
 إِذْ أُصَلِّي فِيهِ، إِلَى حُضُورِ السَّمَاءِ فِي المَبَارَكِ،
 وَأَنْفِجارِ النَّشْوَةِ فِي عَبْقِ الوَهْمَةِ الإِنسانِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ حَوْلَكَ يَذُوبُ فِي ضِيائِكَ،
 كُلُّ حُضُورٍ يَتَلَاشَى فِي حُضُورِكَ،
 كُلُّ رُوعَةٍ تَجْتَوِ أَمَامَكَ لِتَصِيرَ دُخَانَ بَخُورٍ عَلَى
 مَذْبَحِ رُوعَتِكَ الإِلَهِيَّةِ،

أَيُّهَا الْمَائِدَةُ الْإِلَهِيَّةُ،
يَا عُرْسَ الْأُلُوْهَةِ فِي قُرْبَانِ الْجَسَدِ.

- ٥ -

عِنْدَمَا حَرَجْتِ مِنْ بَحُورِ الصَّلَوَاتِ إِلَى قَلْبِي لَمْ
أَعْرِفْ أَنَّكَ حَاضِرَةٌ،
وَأَنَّ ذَاتِي قَدْ تَوَلَّدَ مِنْكَ،
مَعَ أَنَّكَ كُنْتِ فِيَّ... عَمِيقًا...
وَكُنْتِ تَتَحَرَّكِينَ بَيْنَ ذَاتِي وَذَاتِكَ فِي سِرِّ مُذْهِلٍ /

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ غَامِضًا وَغَرِيبًا،

يَتَفَنَّنُ بِالسِّرِّ

لَكِنَّهُ يَتَحَرَّكُ فِي الْخَفَاءِ.

وَحِينَ قَرَّرْتَ أَنْ تَكُونِي بِنَفْسِجَةِ الْحُلْمِ فِي وُجُودِي

الَّذِي تَحَطَّمَتْ سَمْتُهُ، لَمْ تَعْرِفِي أَنَّكَ تَنْزِلِينَ إِلَيَّ لِتَقُودِي

الشمسَ إِلَى عُرْسِ الدُّهُولِ -

لَمْ تَعْرِفِي

أَنَّ السِّحْرَ سَيْنَهْلُ مِنْكَ، نُقْطَةً نُقْطَةً، لِيَمْلَأَ

كِيَانِي بِهِ

وَيَحْمَلُهُ إِلَى أَعْلَى نُقْطَةٍ فِي حُضُورِهِ الْمَسْحُورِ ...

لَمْ تَعْرِفِي

أَنَّ الْحَاضِرَ سَيَمْسَحُ الْمَاضِيَ فِي تَنْهِيدَةٍ وَاحِدَةٍ،

أَوْ فِي زَفْرَةٍ أَنْتِشَاءٍ أَنْفَتَحَ فَجَاءَ مَعَ سُقُوطِ الْحُدُودِ

وغيابِ المسافات ...

لَمْ تَعْرِفِي

أَنَّ أَشْتِعَالَ التَّوَقُّ يُمَزِّقُ السِّتَارَ الَّذِي كَانَ،

وَأَنَّ قُدْسَ الْأَقْدَاسِ فِي مَعْبَدِي الْعَمِيقِ كَامِنٌ فِي

قَلْبِكَ أَنْتِ، يَفِيضُ نُورًا،

وَنُورُهُ حُضُورُ الْمَطْلَقِ فِي عَالَمِي الصَّغِيرِ،

وَتَفْتُحُ الْأَبْدِيَّةَ فِي حُدُودِ زَمَانِي الْمَفْتُوحِ...
 لَمْ تَعْرِفِي
 أَنَّ الْحَاضِرَ وَالْمَاضِيَ تَزَاوَجَا لِيَنْشَقَّ الزَّمَانُ فِي لَحْظَةٍ
 الْإِنْشَاقِ،
 وَيَصِيرَ زَمَانًا مُتَحَصِّنًا فِي لَحْظَةِ التَّكْوِينِ،
 يُعِيدُ إِتِنَاجَهَا كُلَّ لَحْظَةٍ
 وَكُلَّ آنٍ...
 لَمْ تَعْرِفِي
 أَنَّ سِرَّ قَلْبِكَ يَنْتَظِمُ فِي مَعْبَدِ قَلْبِي،

وَأَنْبِثَاكَ مِنْ فُنُونِ الصَّلَاةِ الْكَثِيفَةِ وَبُخَارِهَا
 الْمَتَّصَاعِدِ سَيَكُونُ مِنْ هَذَا الْمَعْبُدِ
 — مِنْ قُدْسِ أَقْدَاسِهِ —
 إِلَى عَالَمٍ لَيْسَ فِيهِ سِوَايَ!
 وَمَا عَرَفْتُ أَنَا
 أَنَّ حُضُورَكَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ فِي مَعْبَدِي يَوْمًا،
 وَأَنَّ هَذَا الْحُضُورَ سَيَكُونُ أَقْوَى مِنْ أَيِّ حُضُورٍ،
 وَأَنَّ نَوْرَكَ الْمَذْهَلَ سَيُعِيدُ تَكْوِينَ ذَاتِي لِتَصِيرَ بِهَذَا
 الْحَجْمِ،
 خَارِجَةً مِنْ جِلْدِهَا نَحْوَ أَبَدِيَّةِ الْإِمْتِدَادِ...

ما عَرَفْتُ

أَنَّ أَنْبِثَاقِي الْأَخِيرَ هُوَ حُضُورِي الْأَكْبَرُ،
حُضُورِي الَّذِي صَارَ جَوْهَرًا أَثْبَتَ مِنْ كُلِّ
حُضُورٍ،

وَأَعْظَمَ مِنْ كُلِّ أَنْبِثَاقٍ...

ما عَرَفْتُ

أَنَّ وَجْهَكَ الَّذِي سَيُشْرِقُ فِيَّ سَيَمْحُو جَمِيعَ
الْوُجُوهِ،

وَأَنَّ نورهَ الَّذِي يَفِيضُ سَيَمَلَأُ كِيَانِي بِرَوْعَةٍ
الْأَنْخِطَافِ...

ما عَرَفْتُ
 أَنَّ هَذَا الْحُضُورَ مُمَكِّنٌ،
 وَأَنَّ الْمَثُولَ فِي حَضْرَةِ أَلْقِكَ يُمَكِّنُ أَنْ يَعْبُرَ نُحُومَ
 المحال.

أَيُّهَا الْوَاحِدَةُ الَّتِي يَفِيضُ مِنْهَا الْإِبْتِكَارُ،
 يَا حَرَارَةَ الصَّفَاءِ فِي بَرْدِ الْعَالَمِ الْمُعْتَكِرِ...
 هَكَذَا صَارَ مَا بَيْنَنَا حُضُورٌ دَائِمٌ لِلْأَلْقِ، وَأَنْبِثَاقٌ
 مُسْتَمِرٌّ لِلْحُضُورِ خَارِجِ الزَّمَانِ وَفَوْقَ الْمَكَانِ.
 صَارَ مَا بَيْنَنَا غَرَابَةً مُضِيئَةً تَمَلُّ أَطْرَافَ الْعَالَمِ،

وَتَبْتَكِرِ السِّيَاقَ الْآخَرَ حَيْثُ يَبْدَأُ الْمَعْنَى مِنْ
أَبْجَدِيَّةِ عَيْنَيْكَ -

عَيْنَاكَ أَبْجَدِيَّةُ التَّكْوِينِ،
حُضُورٌ أَبَدِيٌّ فِي بَدَايَاتٍ لَا تَنْتَهِي...
عَيْنَاكَ قَصِيدَةُ الْخَلْقِ فِي رَمَادِ الْعَالَمِ
الْمُفَكِّكِ... حَتَّى الْغِيَابِ...
عَيْنَاكَ تِلَاوَاتُ الْقَرَحِ،
حِينَ يَكُونُ الْحُزْنُ أَعَمَقَ مِنْ غِيَابِ
الْحُضُورِ،

والأسى الممتدُّ وطنًا للشَّعبِ الممزَّق...
 حتّى الصَّياع...
 عَيْنَاكَ صَلَاةُ الدَّهْشَةِ وَهِيَ تَرْفَعُ عَنِ
 الرُّتُوبِ لَوْنُهُ الفَاقِعُ،
 وَعَنِ المَكْرُورِ حُضُورَهُ المِمْلِئِ.
 عَيْنَاكَ قَصِيدَةُ قَلْبِي
 تَمْلَأُهَا بِلَاغَةُ النُّشُوءِ حِينَ تَصِيرُ رَدَاذًا
 مَلِيئًا بِالزُّهُورِ وَالْأَنَاشِيدِ،
 وَعَرَابُتُهُ الِاتِّقَاءِ حِينَ يَصِيرُ تَدْرُجًا نَحْوَ
 الأَلْقِ...
 عَيْنَاكَ مِحْبَرَةٌ وُجُودِي،

أَكْتُبُ بِحِجْرِهَا قَصِيدَتِي الرَّائِعَةَ،
 قَصِيدَةَ التَّكْوِينِ الْجَدِيدِ الَّذِي أَحْتَرَعُ
 ذَاتِي، وَشَالَ بِهَا إِلَى مَرَاقِي النُّورِ...

عَيْنَاكَ تَرْتَفِقُ أُغْنِيَةَ
 بِكْرِ كَنْشِيدِ الْفِرْدَوْسِ،
 تَصَفَّتْ بِالنُّورِ
 وَلَوْهَا أَرْجُ الْأَبَدِيَّةَ...
 عَيْنَاكَ أَثِيرُ الْأَلْقِ الْمَفْتُوحِ عَلَى قَلْبِي
 يَتَرْتَفِقُ كَوْنُهُ فِي عُمُقِ كِيَانِي

وَيُفْتَحُ فِيهِ أَزْهَارُ الْأَلْقِ السِّحْرِيَّةِ...
 عَيْنَاكَ شَفِيرُ الدُّنْيَا،
 تَنْتَرِعَانِ حُضُورِي
 لِيَطِيرَ ذَهُولًا نَحْوَ فِضَاءِ الْحَرِيَّةِ...
 عَيْنَاكَ كِيَانِي/
 رُوحٌ تَنْبُثُ بِقَلْبِي لِيَصِيرَ أَثِيرًا،
 قَدْرٌ يَحْمِلُنِي نَحْوَ عَمِيقِ حُضُورِي
 أَقْطِفُ فِيهِ الحُلْمَ عَيْرًا...
 عَيْنَاكَ قَصِيدَةُ مِجْبَرَتِي
 يَرشُحُ فِيهَا الشِّعْرُ
 بِأَحْرَفِهِ الدَّهْبِيَّةِ.

عَيْنَاكَ لَهَيْبُ الْخَلْقِ
مُيَكَّوْنُ فِي الدُّنْيَا أَبَدًا
تَنْشُدُ إِلَيْهِ الرَّعَاشَاتُ الْأَرْضِيَّةَ...

عَيْنَاكَ كِيَانِي/
رُوحٌ تَنْبُثُ بِقَلْبِي
لِيَطِيرَ إِلَى دَارِ الْأَبَدِيَّةِ...

هَكَذَا صَارَ مَا بَيْنَنَا أُنْخِطَافًا دَائِمًا،
 نَأْوِي إِلَيْهِ لِتَسْتَمِرَّ ذَاتُنَا فِي صُعُودِهَا نَحْوَ السَّمْتِ،
 وَنَلْتَحِفُ بِهِ نَحْتِ نُجُومِ التَّغْيِيرِ ...

لَأَنْتِ غَابَةُ الْحُضُورِ الْمُنِيرِ،
 أَفِيءُ إِلَى أَرْجِحِهَا لِأَسْتَعِيدَ ذَاتِي بَعْدَ تِيهِ ...
 لَأَنْتِ بَلَسَمُ الْفِكْرِ
 حِينَ يَصِيرُ الْفِكْرُ ضِيَاعًا وَدَوَامَةً بِلَا قَاعِ.
 لَأَنْتِ الْحُضُورُ الْخَارِجُ مِنَ الصَّلَوَاتِ

لِيَرْفَعَ ذَاتِي إِلَى عَوَالِمٍ مِنَ الدُّهُولِ لَا تَنْتَهِي،
إِلَى سَمَوَاتٍ رَائِعَاتٍ مِنْ أَحْلَامِ النُّورِ وَهَاهُ
الْخَلْقِ —

لَا حُضُورَ خَارِجَ ذَاتِكَ المَعْجُونَةِ بِي،
وَأَنَا الرَّاحِلُ فِيكَ... حَتَّى الغِيَابِ...

- ٦ -

كُلَّمَا لَامَسْتَنِي أَصَابِعُكَ الرَّقِيقَاتُ أَهْمَمَتِ النُّجُومُ
فِي سَمَائِي، وَأَنْتَشَرَ الْأَلْقُ فِي أَعْمَاقِ كِيَانِي...
كُلَّمَا لَامَسْتَنِي أَصَابِعُكَ أَلْتَهَبَتْ جَوَانِحِي بِنُورِ
النَّشْوَةِ، وَتَنَاسَلَ الْفَرْحُ عَلَى أَبْوَابِ ذَاتِي...

كُلَّمَا لَامَسْتَنِي أَصَابِعُكَ أَعْتَرَانِي الذُّهُولُ عَظِيمًا،
مُهَوَّلًا، كَمَا لَوْ لَمْ أَكُنْ عَرَفْتُهُ مِنْ قَبْلُ...
كُلَّمَا أَحْتَرَفْتُ أَنْتِظَارَكَ خَرَجْتِ إِلَيَّ مِنْ غَمَامَةِ
النُّورِ كَمَا لَوْ كُنْتُ بَعِيدَةً -
وَأَنْتِ الْقَرِيبَةُ مِنِّي حَتَّى الدُّوَابِ...
أَنْتِظَارُكَ مِسَاحَةُ الحُلْمِ الَّذِي يَصِيرُ رِيحًا
تَشِيلُ بِي إِلَى ذَاكِرَةِ الوجودِ،
إِلَى غِيَابِ حَاضِرٍ فِيَّ
لَا أَدْرِكُهُ إِلَّا فِي اليَقَظَاتِ المَذْهَلَاتِ الَّتِي تَفْتَحُهَا
فِيَّ أَصَابِعُكَ النُّورَانِيَّةِ...

كُلَّمَا أَحْتَرَفْتُ أَنْتِظَارَكَ رَدَّتْنِي أَصَابِعُكَ الْأَثِيرِيَّةُ إِلَى
 أَنْخِطَافٍ لَا حُدُودَ لَهُ...
 إِلَى ذُهُولٍ أَبْعَدَ مِنَ الذُّهُولِ...
 إِلَى مِسَاحَةٍ مِنَ الْحُلْمِ خَارِجِ حُدُودِ الْمِسَاحَاتِ...

يَدَاكِ الْهَالَةَ الَّتِي تُبْرِئُ الْقَلْبَ مِنْ سَقَمِ الْبِلَادَةِ،
 وَتُرْعِشَانِ الْوِجْدَانَ فِي تَصَفِّ يَحْمِلُهُ إِلَى فِضَاءَاتِ
 الدُّوبَانِ...
 يَدَاكِ أَمْتِدَادُ السَّمَاءِ إِلَى جِسَدِ الْأَرْضِ،

تَقْلِبُهَا أَصَابِعُكَ الْأَثِيرِيَّةُ
لِتَصِيرَ خِصْبًا مُتَفَجِّرًا مِنْ أَعْمَاقِ الْيَابِ...

وَأَنْتِ، آه... أَنْتِ...

مُعَانَاةُ التَّكْوِينِ وَهُوَ يُخْرِجُ النُّورَ إِلَى النُّورِ -
يُخْرِجُ الْكَلِمَةَ مِنْ مِحْبَرَةِ الصَّمْتِ إِلَى فَضَاءِ التَّأْوِيلِ.
أَنْتِ، آه... أَنْتِ...

تَفْتُحُ الْوَحْيِ

وَهُوَ يَحْمِلُ مَعَهُ بَدَايَاتِ الْإِنْبِثَاقِ،

وَطَعَمَ الْبِدَايَةَ الَّتِي تَفْتَحُ الْكَوْنَ عَلَى حُضُورٍ مِنْ

النُّورِ،

أَنْتِ، آه... أَنْتِ...

تَجَلَّى النَّشْوَءُ فِي سَمْتِ حُضُورِهَا

حَيْثُ تَنْفَتِحُ عَيْنُ الْحُضُورِ عَلَى الْأَلْقِ،

حَيْثُ يَنْتَشِرُ الذُّهُولُ فِي كُلِّ شَيْءٍ...

أَيُّهَا الْوَاحِدَةُ الَّتِي أَحْتَصَرْتَ آبَادَ الْخَلْقِ

فِي رَعْشَةٍ وَاحِدَةٍ...

- ٧ -

عَلَّمَنِي حُضُورُكَ الرَّائِعُ كَيْفَ أُعَانِقُ ذَاتِي دَاخِلَ
عُيُومِ النُّورِ،
كَيْفَ أُشْعِلُ الْوَقْتَ
لِيَصِيرَ سِرَاجًا مِّنَ الْأَلْقِ الطَّوِيلِ،
كَيْفَ أَتَوَحَّدُ فِي الْآخِرِ
مِنْ غَيْرِ أَنْ أَبْتَعِدَ عَنِ الضِّيَاءِ...

عَلَّمَنِي حُضُورَكَ الرَّائِعُ
 كَيْفَ تَكُونُ النَّشْوَةُ طَرِيقًا إِلَى السُّمُومِ،
 كَيْفَ يَرْتَعِشُ النُّورُ فِي أَعْمَاقِ الْكِيَانِ،
 كَيْفَ يُطِيرُ الْفَرَحُ بِالْكَائِنِ نَحْوَ نَوَافِدِ السَّمَاءِ...

عَلَّمَنِي حُضُورَكَ كَيْفَ يَصِيرُ الْوَقْتُ صَدِيقًا،
 كَيْفَ نُجَالِسُ الْعُمَرَ

مِنْ غَيْرِ أَنْ نَحْشَى ذُبُولَهُ،
كَيْفَ نُنْتَمِّمُ دَوْرَةَ الزَّمَانِ
لِيُنْفَتِحَ عَلَى زَمَانٍ جَدِيدٍ...

عَلَّمَنِي حُضُورُكَ أَنْ أَكُونَ...

هَكَذَا،

تَغَيَّرْتُ مِنْ حَوْلِي الْمَعْلَمِ،

وَأَنْبَقَ الْعَالَمُ مَرَّةً أُخْرَى، بِكُرٍّ، مِنْ ضِيَاءِ عَيْنَيْكَ،
 وَأَسْتَقَرَّتِ الْأَلْوَانُ عَلَى ذَاتِهَا،
 وَأَنْتَظَمَ الْكَوْنُ فِي سِيَاقٍ جَدِيدٍ، أَكْثَرَ أَنْتِظَامًا،
 وَأَشَدَّ اسْتِقْرَارًا،
 وَتَبَّتِ الْحَيَاةُ فِي نُقْطَةٍ عَمِيقَةٍ، بَعِيدَةٍ،
 كَالسَّمْتِ...

هَكَذَا

عَادَ الْعَالَمُ عَالَمًا،

وَأُنْكَشَفَ عَنْ أَفْقٍ جَدِيدٍ،
 تَتَجَدَّدُ أَلْوَانُهُ، كُلَّ يَوْمٍ، مِنْ عَيْنَيْكَ، وَمِنْ نَبْضِ
 قَلْبِكَ الْمَشْتَعِلِ بِالْأَلْقِ...

هَكَذَا تَدْوِبُ الْحُرُوفُ فِي مِحْبَرَةٍ وَجَدَانِكَ،
 لِتَخْرُجَ الْقَصِيدَةُ بِكُرًّا،
 رَائِعَةً كَعَيْنِ السَّمَاءِ،
 صَافِيَةً كَأَصْوَاتِ الْمَلَائِكَةِ...

هَكَذَا يَنْفَتِحُ فِي قَصِيدَتِكَ

بَابُ الْأَبْدِيَّةِ ...

(٦ - ٢٩ / ٥ / ٢٠٢٢)



كَيْفَ أَخْرُجُ، بَعْدُ، إِلَى الْعَالَمِ الْمَتَكَسِّرِ فِي النَّقْصِ،
كَيْفَ أُرَاقِبُ، بَعْدُ،
وَقَدْ صِرْتُ فِيكَ إِهْمًا،
مَدَارَ الْفُصُولِ؟
وَكَيْفَ أَعُودُ إِلَى الشَّعْرِ، بَعْدُ،
وَقَدْ صِرْتَ أَنْتِ الْقَصِيدَةَ
فِي أَبْجَدِيَّةِ قَلْبِي،
وَمَاذَا أَقُولُ؟